

روح المعاني

والله تعالى ولي التوفيق ومنهم من يستمعون إليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل إلى إيمانهم ومن مبتدأ خبره مقدم عليه وهو إما موصول أو نكرة موصوفة والجمله بعده إما صلة أو صفة وجمع الضمير الراجع إليه رعاية لجانب المعنى كما أفرد فيما بعد رعاية لجانب اللفظ ولعل ذلك للإيماء إلى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الإستماع على ما يتوقف عليه النظر من الشروط العادية أو العقلية والمعنى ومن المكذبين الذين أو أناس يصغون إلى القرآن أو إلى كلامك إذا علمت الشرائع وتصل الألفاظ لآذانهم ولكن لا ينتفعون بها ولا يقبلونها كالصم الذين لا يسمعون أفأنت تسمع الصم أي تقدر على إسماعهم ولو كانوا لا يعقلون 42 أي ولو إنضم إلى صممهم عدم عقلهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس إذا وصل إلى صماخه دوي وأما إذا إجتمع فقدان السمع والعقل فقد تم الأمر وإنما جعلوا كالصم الذين لا عقل لهم مع كونهم عقلاء لأن عقولهم قد أصيبت بآفة معارضة الوهم لها وداء متابعة الالف والتقليد ومن هنا تعذر عليهم فهم معاني القرآن والأحكام الدقيقة وإدراك الحكم الرشيقة الأنيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما تنتفع به البهائم من كلام الناعق وتقديم المسند إليه في أفأنت للتقوية عند السكاكي وجعله العلامة للتخصيص ففي تقديم الفاعل المعنوي وإيلائه همزة الإنكار الدلالة على أن نبي الله صلى الله عليه وسلم تصور في نفسه من حرصه على إيمان القوم أنه قادر على الإسماع أو نزل منزلة من تصور أنه قادر عليه وأنه تعالى شأنه نفى ذلك عنه A وأثبتته لنفسه سبحانه على الاختصاص كأنه قيل : أنت لا تقدر على إسماع أولئك بل نحن القادرون عليه كذا قيل وفي القلب منه شيء ولذا أختير هنا مذهب السكاكي وجعل إنكار الإسماع متفرعا على المقدمة الإستدراكية المطوية المفهومة من المقام حسبا أشير إليه وفيه إعتبار كون الهمزة مقدمة من تأخير لإقتضاها الصدارة وهو مذهب لبعضهم .

وقيل : إنها في موضعها وأدخلت الفاء لإنكار ترتب الأسماع على الإستماع لكن لا بطريق العطف على فعله المذكور الواقع صلة أو صفة للزوم إختلال المعنى على ذلك بل بطريق العطف على فعل مثله مفهوم من فحوى النظم غير واقع موقعه كأنه قيل : أستمعون إليك أفأنت تسمعهم وقد يراد إنكار مكان وقوع الإسماع عقيب ذلك وترتبه عليه كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها والكل في موضع الحال من مفعول الفعل السابق أي أفأنت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون على 4 ي معنى أفأنت تسمعهم على كل حال المفرروض ويقال لو هذه وصلية وذلك أمر مشهور وإستشكل الإتيان بها هنا بأن الأصل فيها أن يكون الحكم على

تقدير تحقق مدخولها ثابتا كما أنه ثابت على تقدير عدمه إلا أنه على تقدير عدمه أولى والأمر هنا بالعكس وأجيب بأن إتصال الوصل بالإثبات جار على المعروف فإن تقديره تسمعهم ولو كانوا لا يعقلون وظاهر أن إسماعهم مع العقل بطريق الأولى والإستفهام إثبات بحسب الظاهر فإن نظر إليه فذاك وئن نظر إلى الإنكار وإنه نفي بحسب المعنى أعتبر أنه داخل على المجموع بعد إرتباطه وكذا يقال فيما بعد فتأمل فيه ولا تغفل ومنهم من ينظر إليك ويعاين دلائل نبوتك الواضحة ولكن لا يهتدي